

تكريم شوقي أبي شقرا

عندما اقول شوقي أبي شقرا، اقول شاعراً بكل ما تحمله الكلمة من شعر. عندما اقول شوقي ابي شقرا، اقول أحد آباء القصيدة الحديثة في لبنان. عندما اقول شوقي ابي شقرا، اقول إنه البعيد كل البعد عن التنظير في هذه القصيدة (اي قصيدة النثر) لأنه كتبها فعلاً وحقاً. حاض التجربة الثائرة في هذه القصيدة، وتمكّن من لعبتها وتركيبتها وبنيتها ولم يتلطّ بنظريات خشبية وغير خشبية، ولم يتصفّح ببيانات مستهلكة أو مستحدثة: إنه وبكل بساطة، كتب القصيدة الحديثة الحقة.

أحيي اليوم شوقي أبي شقرا تحية إعجاب لكل هذا، أعني لمساهمته الأساسية في تحديث اللغة الشعرية في ثلاثة عشر مجموعة نشرها على التوالي منذ ١٩٥٩ مع "أكياس الفقراء" وصولاً إلى مجموعته الأخيرة الصادرة سنة ٢٠٠٤، "تساقط الثمار والطيور وليس الورقة". ولا أزال الى اليوم أقف وقفة الدهشة أمام "أكياس الفقراء". استعرت منه قبل سنوات، فالطبعة نفدت، وقرأته بنهمٍ ولا أزال حتى الآن مفتتنة بهذه اللغة الخلابّة، البديعة، الأنيقة، أي الشعرية الصرفة. ولم تخفت قصيدته صوتها يوماً! "أكياس الفقراء" لا يزال يلمع ويشعّ وينبض ويتوهّج حتى بعد نصف قرن على صدوره. وشوقي أبي شقرا لم يساهم في تحديث اللغة العربية من خلال شعره فحسب، إنما أيضاً من خلال نشاطه الصحافي الفريد

. ففي مجلة "شعر" كما في الصفحة الثقافية في جريدة "النهار"، شذّب، واختزل، وجدّد، وابتكر، وهذّب المقالات والنصوص.

إضافة الى انه أدخل مفردات جديدة الى هذه اللغة الصحافية منظّفاً إياها من نتانة مفردات عربية لم تعد تلائم العصر (أمثال: مصداقية = صدقية، بالتالي = تالياً، مسقط رأسه = مسقطه، بالإضافة إلى = إضافة إلى، هذا وقد: إلى سلة المهملات، الجدير بالذكر: إلى سلة المهملات، إلخ). ولا ننسى أن أبي شقرا هو الذي أطلق "الصفحة الثقافية" (والتسمية تسميته بالمناسبة) في جريدة "النهار" أواسط الستينات، فكان من نجاحها أن انعكس اعتماداً لها وكانت مثلاً للصحف اللبنانية والعربية معاً في ما بعد، كما درج ما اطلقه من كلمات وتعابير في النص الإعلامي، بكل ما حمّله الشاعر من تجديد وابتكار. إضافة الى هذا ، كان عمل أبي شقرا الصحافي عملاً بطولياً إذ جريئاً ، هذا إذا تذكّرنا انه كان أوّل من تجرّأ على نشر قصائد النثر العربية، الجديدة ا نذاك في الشعر العربي، في صفحته الثقافية،

كيفما كتب شوقي أبي شقرا يكتب شعراً، حتى في مقالاته ومحاضراته. مجّد في الشعر، لكنه أيضاً مجّد في الصحافة، هذا الذي أغدق على اللغة العربية سحراً وجمالاً، هذا الذي شاءت له الصدفة، وكانت الصدفة لصالحه، شاءت إذن أن يترك "ذات ليلة من الخمسينات"، كما يقول، "حلقة الثريا" التي كان أسّسها مع إدمون رزق والمرحومين جورج غانم وميشال نعمة، ليلتحق بمجلة "شعر". وكأنه حدس بموهبته التحديثية الشعرية، فلم

يتردد في الانفصال عن حركة شعرية تقليدية ليكون رائداً في مجلة "شعر" ومساهماً أساسياً في تلك المغامرة الشعرية الحديثة وكانت مكانه الأنسب والأصيل. أقول أنها مكانه الأصيل لأن قصيدته لاقت في مجلة "شعر" المناخ الملائم حيث تفجرت تجديداً وثورة. حادثة ابي شقرا تكمن في ما غيرّه في اللغة من خلال لعبه على عنصر مهم وهو الصورة التي اتت بالشكل والمعنى الجديدين . فالصورة في قصيدة ابي شقرا هي اللغة.

ونهايةً، أشدّد على عبقريته الشعرية لكي أحتّم بها كلمتي، ولأقول أن له الأثر الكبير في سواه، فصحّح قصائد وأحياناً مجموعات كاملة لشعراء، وكانت له الكلمة الفصل في النصوص التي مرّت عنده، في مجلة "شعر" كما في جريدة "النهار". فأنقذ عطاءات شعرية كثيرة من الركافة وما شابه، موصلاً إياها الى النصاعة المفترضة. وهذا ما حصل فعلاً، إذ تألق أصحاب تلك الدواوين مستفيدين من تصحيح المعلم.

صباح زوين